وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟
فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن
كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

[٣٦] ثم يخبر جل وعلا أنه أهلك كثيرًا من الأمم السابقة قبل قريش وكانت أشدَّ منهم قوَّةً، وأعظمَ آثارًا في الأرض؛ حيث بنوا الحصون المنيعة، والمنازل الرفيعة، فلما جاءهم عذاب الله وحل بهم عقابه، فهل كان لهم مهربٍ أو مفرٌّ أو منقِذ؟!

[٣٧] واعلموا أيها الناس أن فيما حلَّ بالأمم السابقة من الهلاك والدمار؛ لذكرىٰ لمن كان له قلبٌ عظيمٌ حيٌّ، وعقلٌ راجح، وذكرىٰ نافعةٌ لمن استمع وأصغىٰ إلىٰ ما يُتْلىٰ عليه من الوحي، وهو حاضر الفهم، متيقظ القلب.

[٣٨] ثم أخبر جل وعلا أنه خلق السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما - وأوجدهما من العدم علىٰ غير مثالٍ سابق - في ستة أيام، من غير تعب ولا نصب ولا إعياء، - لا كما يقول اليهود ويفترون: إن الله استراح يوم السبت.

وهذه الأيام ليست كأيام الدنيا المعروفة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

[٣٩] ثم أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يصبر علىٰ ما يقول هؤلاء المشركون من الكذب والافتراء والتكذيب، وأن ينزِّهِ الله جلَّ في عُلاه عما لا يليق بجلاله، وأن يتقرب إليه سبحانه بالعبادات والطاعات قبل طلوع الشمس وهو وقت الفجر، وقبل الغروب وهو وقت العصر.

[٤٠] وكذلك أمره سبحانه أن يكثر من الصلاة في الليل، وأن يسبح الله ويذكره بعد الصلوات.

[٤١] واستمع يانبي الله يوم يُنفَخُ في الصور للبعث والنشور من مكانٍ قريب تسمعه جميع الخلائق.

[٤٢] ويوم يسمع الخلائق هذه النفخة فإنهم يعلمون أن يوم البعث والنشور حق لا مرية فيه، وأن ذلك اليوم هو يوم خروج الناس من قبورهم، واجتماعهم في صعيد واحد للجزاء والحساب.

[٤٣] ثم بين جل وعلا ما يدل علىٰ كمال قدرته فأخبر بأنه هو الذي يحيي الخلق ويميتهم في الدنيا حين انقضاء آجالهم، وأنه وحده إليه الرجوع للحساب والجزاء في الآخرة.

[٤٤] واذكروا أيها الناس يوم أن تتصدع الأرض فتخرج الموتىٰ من قبورها مسرعة إجابة إلىٰ الداعي، فاعلموا أن ذلك جمع هين علىٰ الله، لا عسر فيه ولا مشقة.

[٤٥] ثم قال جل وعلا لنبيه: نحن أعلم يارسول الله بما يقول هؤلاء الكفار من إنكار البعث والسخرية والاستهزاء بك وبرسالتك، ولكن اعلم أنك لست بمسلَّط عليهم فتقسرهم علىٰ الإيمان والهدىٰ وتسيرهم كما تريد، وإنما بعثت مبلغًا؛ وفي هذا ثناء علىٰ المصطفىٰ ﷺ، ثم أمره سبحانه أن يعظ بهذا القرآن من عنده رغبة في السلامة ومن يخشىٰ وعيد الله؛ لعله ينجو من النار التي هي بئس المصير، وفي هذا تسلية لنبيه ﷺ.

سورة الذاريات

سورة الذاريات مكيّة وآياتها ستّون آية.

[١] ابتدأ جل وعلا السورة بالقسم ببعض مخلوقاته، وله سبحانه الحق أن يقسم بما شاء، أما الإنسان فليس له أن يقسم إلا بالله جل في علاه، فأقسم بالرياح التي تذر الغبار والهباء والتراب في الفضاء.

[٢] وأقسم سبحانه بالسحب التي تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الأحمال.

[٣] وأقسم سبحانه بالسفن التي تحمل الأثقال، وتجري في البحر بكل يسر وسهولة.

[٤] وأقسم سبحانه بالملائكة التي تقسم الأمطار والأرزاق وشؤون البشر بأمر الله.

[٥] ثم جاء سبحانه بجواب القسم، فقال: إن ما توعدون أيها الناس من البعث والحساب علىٰ الأعمال ثم الجنة أو النار لكائن لا محالة.

[٦] ثم أكد سبحانه القسم بقوله: واعلموا أن الثواب والجزاء علىٰ الأعمال في الدنيا والآخرة واقع وقوعًا لا ريب فيه في الوقت الذي قدره الله.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ
أُفِكَ ٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ يَسۡـَٔلُونَ
أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ
هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ
١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦
كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨
وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ
لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ
وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ
تَنطِقُونَ ٢٣ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ
دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ
٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨
فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ
٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠

[٧-٨-٩] ثم عاد جل وعلا وأقسم قسمًا آخر، فقال: وأُقْسِمُ بالسماء ذات الجمال والبهاء، والحسن والاستواء، التي جملها الله بالكواكب والشموس والمجرات والأبراج، إنكم أيها المشركون المكذبون لفي قول مختلف مضطرب في القرآن وفي محمد ﷺ؛ واعلموا أيها المشركون أن اختلافكم في القرآن لا يلتئم ولا يجتمع ولا يروج إلا علىٰ من هو ضالّ في نفسه، لأنه قول باطل، ثم بين سبحانه أن هذا القرآن يؤفك، أي: يصرف عن الإيمان به من كذب به، وكذب برسول الله ﷺ.

[١٠-١١] ثم لعن جل وعلا هؤلاء الكذابين المشككين في وعد الله ووعيده من أصحاب القول المختلف؛ الذين هم في غفلة وعمىٰ وجهالة عن أمور الآخرة، وغافلون لاهون عما ينتظرهم من عذاب الله.

[١٢-١٣-١٤] ثم أخبر جل وعلا عن هؤلاء الكذابين أنهم يسألون سؤال استبعاد وتكذيب فيقولون: متىٰ يجيء يوم الجزاء الذي تُحَدِّثُنا عنه يامحمد؟، فيجيب سبحانه عن نبيه ﷺ فيقول: إن يوم الجزاء يوم يدخلون جهنم ويحرقون ويعذبون فيها، ثم يقال لهؤلاء المكذبين: ذوقوا هذا العذاب الذي كنتم تستعجلون وقوعه استهزاء وسخرية وتظنون أنه غير كائن.

[١٥-١٦] لما ذكر جل وعلا حال أهل النار ذكر حال أهل الجنة؛ فأخبر أن الذين اتقوا الله كائنون في بساتين فيها عيون جارية لا يمكن وصفها وتخيلها. ثم بين سبحانه أنهم راضون بما أعطاهم ربهم من الكرامة والنعيم لأنهم كانوا في الدنيا قبل دخولهم الجنة محسنين في إيمانهم وطاعتهم لربهم، وكانوا مكثرين من الأعمال الصالحة والمستحبة.

[١٧-١٨-١٩] ثم بين جل وعلا مظاهر إحسانهم؛ فأخبر أنهم كانوا ينامون القليل من الليل للتهجد، وكانوا يكثرون من الذكر والدعاء والاستغفار في السحر، وبجانب قيامهم الليل واستغفارهم فإنهم كانوا يوجبون علىٰ أنفسهم نصيبًا معلومًا يخرجونه من أموالهم للمحتاجين الذين يسألون الناس، والذين لا يسألونهم حياءً، تقربًا إلىٰ الله عز وجل.

[٢٠-٢١-٢٢] واعلموا أيها الناس أن في الأرض علاماتٍ واضحات الدلالة علىٰ وحدانية الله وكمال قدرته، وهذه الآيات ينتفع بها أهل اليقين الذين لهم بصائر وإدراك ونظر في عظيم صنع الله. وأيضًا في إيجاد أنفسكم من العدم علىٰ غير مثال سابق، وما فيها من آيات الخلق والتركيب ما يدل علىٰ وحدانية الله وكمال قدرته، أفلا تبصرون ذلك فيقودكم لتوحيد الله والإيمان به؟! واعلموا أن في السماء أسباب رزقكم ومعاشكم وهو المطر الذي به حياة البلاد والعباد، وفي السماء أيضًا ما توعدون من الثواب والعقاب والجنة والنار؛ فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء والقضاء والقدر ينزل منها.

[٢٣] ثم ختم جل وعلا هذه الآيات بهذا القسم؛ فأخبر سبحانه أن ما أُخبر به في هذه الآيات، وأنَّ ما توعَدون به لحقٌّ وصدقٌ، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه كما أنكم لا تشكُّون في قدرتكم علىٰ النطق بالكلام.

[٢٤-٢٥] هل أتاك يانبي الله خبر إبراهيم وأضيافه الملائكة الكرام؛ حيث أمرهم الله بزيارة إبراهيم وتبشره بالولد وهم ذاهبون في طريقهم إلىٰ قوم لوط؛ فلما وصلوا إليه سلموا عليه، فرد عليهم قائلًا: سلام عليكم أنتم قوم غرباء لا نعرفكم فمن أنتم؟ وهؤلاء الملائكة أرسلهم الله لتعذيب قوم لوط وقلب بلادهم عليهم.

[٢٦-٢٧-٢٨] ثم إن إبراهيم مضىٰ إلىٰ أهله في سرعة وخفية عن ضيفه، وقدم لضيوفه عجلًا سمينًا أنضجه لهم شيًّا. ثم قرب إليهم الطعام، وقال لهم: تفضلوا كلوا أيها الأضياف، لكنهم أعرضوا ولم يأكلوا، فتعجب من أمرهم وقال لهم: ألا تأكلون؟. وفي هذه اللحظة لما رأىٰ أنهم أعرضوا عن الأكل أحس إبراهيم في نفسه الخوف منهم، ظنًّا منه أن امتناعهم إنما كان لشرّ يريدونه، فقالوا له: لا تخف إنا رسل ربك؛ ثم بشروه أن زوجته سارة ستلد له غلامًا ذي علم كثير عندما يبلغ مبالغ الرجال وهو إسحاق.

[٢٩-٣٠] فلما سمعت سارة ما بشَّر به الملائكة دهشت، ثم أقبلت نحوهم وهي تصرخ وضربت بيديها علىٰ جبينها تعجبًا من قولهم، وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟. فقالت لها الملائكة: أخبرناك وقلنا لك كما قال ربك، والله علىٰ كلّ شيء قدير، وهو سبحانه الحكيم في تدبير وتصريف شؤون عباده، العليم بأحوالهم وما يُصلحهم.

* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

[٣١] ولكن إبراهيم عليه السلام لكثرة الملائكة شعر أنهم مكلفون بأمر أكبر من هذه البشارة؛ فسألهم بعد هذه البشارة فقال لهم: ما خبركم أيها الملائكة، وما شأنكم، وفيمَ أُرسِلْتُم؟. [٣٢] فقال الملائكة: لقد أرسلنا الله لقوم مجرمين مجاوزين لحدودهم - وهم قوم لوط -.

[٣٣-٣٤] ثم قالوا: وإن مهمتنا التي أرسلنا من أجلها أن نُهلكَهُم برجمهم بحجارة من طين متحجِّر، وهذه الحجارة معلَّمة بعلامات تعرف بها لكي نُهلك بها هؤلاء المسرفين على أنفسهم بالشرك المجاوزين حدودَهم بقبيح المعاصي والآثام. [٣٥] ثم أخبر جل وعلا أنه أخرج منْ كان في قرىٰ قوم لوطٍ من أهل الإيمان والتوحيد قبل نزول العذاب على أهلها الفاسقين المجرمين. [٣٦] ثم بين سبحانه أنه لم يجد في تلك القرىٰ غير بيت واحد من المسلمين، وهو أهل بيت لوط عليه السلام، مما يدل علىٰ كثرة الفجار والفساق في هذه القرىٰ. قال سبحانه في هذه الآية: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وقال في الآية السابقة: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، لأن بيت لوط لم يكن جميع من فيه من المؤمنين، فامرأته أسلمت ولكنها لمن تؤمن ولذا لم تخرج معهم؛ لأنها كانت منافقة وخائنة؛ حيث كانت علىٰ دين قومها، وخيانتها أنها كانت تخبر الفساق بضيوف زوجها.

[٣٧] وبعد أن أهلك جل وعلا قوم لوط أخبر أنه ترك في قريتهم علامةً واضحة بينة علىٰ هلاكهم؛ لتكون عبرة وعظة للذين يخافون العذاب الأليم الموجع في الآخرة، وفي هذا دليل علىٰ قدرة الله وانتقامه من الكفرة الجاحدين، الذين يفعلون الفواحش والمنكرات، ولم يؤمنوا بالله وآياته ورسله. [٣٨-٣٩-٤٠] واعلموا أيها الناس أن في قصة موسىٰ آيةً عظيمة للذين يخافون العذاب الأليم؛ حيث أرسله الله إلىٰ فرعون بالآيات والمعجزات الظاهرة البينة الدلالة علىٰ أنه رسول من عند رب العالمين. ولكن فرعون وقومه أعرضوا عن اتباع موسىٰ، وتكبَّر عليه وعلىٰ دعوته، وتقوَّىٰ بجماعته وجنده، وقال عن موسىٰ: إنه ساحرٌ أو مجنون -وذلك للمغالطة والإيهام- ؛ مع أنه يعلم أن موسىٰ صادق، قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]. وبسبب تكبر فرعون وكفره وجحوده وطغيانه أخذه جل وعلا وجنوده وطرحهم في البحر فأهلكهم بالغرق، وأهلك الله فرعون لأنه أتىٰ بذنوب يستحق اللوم عليها؛ ومن ذلك ادعاؤه الربوبية، وتكذيبه موسىٰ، وطغيانه في الأرض. [٤١-٤٢] واعلموا أيضًا أن في قصة عاد وإهلاكهم آيةٌ عظيمةٌ للذين يخافون العذاب الأليم؛ حيث كذبوا رسولهم هودًا فأرسل الله عليهم ريحًا شديدةً لا خير فيها ولا بركة، ومن شدتها أنها لا تمرّ علىٰ شيء إلا أهلكته ودمَّرته وأبادته وجعلته باليًا مُفتَّتًا. [٤٣-٤٤-٤٥] واعلموا أيضًا أن في قصة ثمود وإهلاكهم آيةً عظيمةً للذين يخافون العذاب الأليم؛ حيث كذبوا رسولهم - صالحًا -؛ فقال لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، وتمتعوا بالدنيا الفانية إلىٰ حين وقت هلاككم. ولكنهم كذبوا رسلهم، واستكبروا علىٰ أمر ربهم؛ فأهلكهم الله بالصيحة العظيمة، وهم ينظرون إلىٰ عقوبتهم بأعينهم. وما قدروا علىٰ النهوض لما حلَّ بهم العذاب، وما استطاعوا الهرب والفرار والنجاة، وما كانوا منتصرين لأنفسهم، ولا ممتنعين من عذاب الله بغيرهم. [٤٦] ثم أخبر سبحانه أنه أهلك قوم نوح من قبل هذه الأقوام؛ حيث أهلكهم بالطوفان؛ لأنهم كذبوا برسولهم لما جاءهم؛ فكانوا قومًا خارجين عن طاعة الله وتوحيده، مكذبين لرسوله معاندين له. [٤٧-٤٨] يخبر جل وعلا أنه بنىٰ السماء وأتقنها بقوة وقدرةٍ، ووسعها توسيعًا كبيرًا، وهو قادر علىٰ توسعتها أكثر من ذلك. وأن الأرض بسطها ووطَّأها، وجعلها كالمهاد أي الفراش لينتفع بها الناس في سيرهم وسكناهم عليها، ثم أثنىٰ سبحانه علىٰ نفسه فقال: فنعم الماهدون نحن، وصدق جل في علاه؛ فهو الفعال لما يريد. [٤٩-٥٠-٥١] ثم أخبر جل وعلا أنه خلق من كل شيء صنفين ونوعين مختلفين، وكل منهما زوج للآخر؛ فمثلًا خلق السعادة والشقاوة، والهدىٰ والضلال، والليل والنهار، والسماء والأرض، وهكذا، كل ذلك لعلَّكم تتذكرون قدرة الله وتستدلون بذلك علىٰ توحيد الله وصدق وعده ووعيده. وما دام الأمر كذلك ففرُّوا أيها الناس إلىٰ الله بتوحيده والإيمان به، وبالتوبة والرجوع إليه، إنه لكم نذيرٌ بيِّن النذارة من عذاب الله وعقوبته. ثم أكد جل وعلا هذا الإنذار فأمر عباده أن يُخلصوا العبادة له بالتوحيد، وألا يعبدوا معه إلهًا آخر، فإنه لكم نذيرٌ بيِّن النذارة من عذاب الله وعقوبته.

[٥٢-٥٣] يسلي جل وعلا نبيه ﷺ فيقول له: وكما كذبك قومك يانبي الله واتهموك بالسحر والجنون؛ فكذلك فعلت الأمم السابقة مع أنبيائهم. فهل ياترىٰ أوصىٰ الكفار السابقون الكفار اللاحقين أن يقولوا لكل رسول يأتيهم: أنت ساحر ومجنون؟! الحقيقة أنهم لم يتواصوا بذلك؛ ولكن حملهم علىٰ ذلك الكفر والطغيان والتكذيب وتجاوز الحد، وكرههم لتغيير ما هم عليه.

[٥٤-٥٥] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يعرض عن هؤلاء المكذبين المفترين، وأن لا يبالي بهم، لأنه أدّىٰ ما عليه؛ حيث بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة، ولهذا فإنه لا يلحقه لوم من أحد. ثم أمره أن يعظ بهذا القرآن من آمن به واتبعه، فإن قلوبهم تلين لذلك، فبالتذكير والموعظة ينتفع أهل الإيمان، ومن يرد الله به خيرًا يهديه ويصلح قلبه ويرشده لاتباع هذا القرآن العظيم.

[٥٦] يخبر جل وعلا أنه ما خلق الثقلين الإنس والجن إلا ليأمرهم بعبادته وحده لا شريك له، ثم يجازيهم علىٰ أعمالهم؛ فمن عمل خيرًا فجزاؤه الجنة، ومن عمل شرًّا فإنه يعذب بالنار.

قال الشيخ العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: التحقيق في معنىٰ هذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: إلا لآمرهم بعبادتي، وأختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم علىٰ أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. **وقال الشيخ البسام**: التحقيق في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: لأطلب منهم عبادتي، فأجازي المحسن، وأعاقب المسيء.

[٥٧-٥٨] ثم بين سبحانه أنه لا يريد من خلقه رزقًا، بل لم يطلب منهم أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم، ولا يريد منهم أن يطعموه سبحانه، لأنه هو الرزّاق المتكفّل بأرزاق جميع المخلوقات، صاحب القوة المتين الذي له القوة والقدرة كلها، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٥٩] واعلموا أيها الناس أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وبتكذيب محمد ﷺ نصيبًا من العذاب مثل نصيب من سبقهم من الأمم الكافرة، فلا يتعجلوا نزول العذاب بهم، فإنه آتيهم لا شك ولا ريب في ذلك.

[٦٠] ثم أخبر جل وعلا في ختام السورة بالهلاك والشقاء الأبدي الذي ينتظر هؤلاء الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله ﷺ يوم القيامة؛ ذلك اليوم الذي وعدهم الله فيه بالعذاب والنكال والخزي والبوار.

سورة الطّور

سورة الطور مكيّة وآياتها تسع وأربعون آية.

[١] أقسم جل وعلا بعدد من مخلوقاته فأقسم بالطور، وهو الجبل المبارك الذي تمت عنده مكالمة موسىٰ عليه السلام لربه.

[٢-٣] ثم أقسم سبحانه بالقرآن العظيم المكتوب علىٰ الجلد الرقيق، المبسوط، والظاهر لكل أحد ينظر إليه.

[٤] ثم أقسم سبحانه بالبيت المعمور الذي تعمره الملائكة بالطواف فيه.

[٥] ثم أقسم سبحانه بهذه السماء العالية المرتفعة.

[٦] ثم أقسم سبحانه بالبحر المشتعل نارًا يوم القيامة.

[٧-٨] ثم جاء جل وعلا بجواب القسم فأخبر سبحانه أن عذاب ربك يانبي الله حاصل لا محالة لمن يستحقه من الكافرين المكذبين بالرسل، لا يدفعه عنهم دافع، ولا يجدون عنه مهربًا.

[٩] واعلموا أيها الناس أن هذا العذاب واقع في ذلك اليوم الذي ترتجّ فيه السماء ويختل نظامها وتضطرب اضطرابًا شديدًا من هول ذلك اليوم.

[١٠] وفي ذلك اليوم أيضًا تزول الجبال عن أماكنها وتسير عن مواضعها كسير السحاب.

[١١-١٢] ثم أخبر سبحانه أن الهلاك والشقاء في ذلك اليوم علىٰ المكذبين بالحق؛ الذين عاشوا حياتهم في لهو ولعب بالباطل، لا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا.

[١٣] ثم بين سبحانه أن المكذبين يُدفعون في ذلك اليوم إلىٰ النار دفعًا عنيفًا.

[١٤] ثم يقال لهؤلاء المكذبين علىٰ سبيل التوبيخ والإهانة: هذه هي النار التي كنتم تكذبون بها وتسخرون منها.